وهيبة قطوش

# الشيخ مبارك الميلي ومشروع الاصلاح في المجتمع الجزائري

**ملخص:**

يعتبر الشيخ مبارك الميلي نموذجا حيا لكثير من العلماء في التربية والتعليم وطريقته المميزة في التدريس والإصلاح. وكم هي كثيرة نشاطات الشيخ سواء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو في مجال نشاطه الخاص،ومحاولته لمّ شمل الشعب الجزائري في صف واحد، تجتمع فيه الكلمة والهدف ووسائل العمل، ومجابهة السياسة الإستعمارية، والإدارة الفرنسية، ومن والاها بالإصلاح والتحرر من الخرافات والشعوذة التي وجدت لها طريقا في المجتمع الجزائري انذاك، ويتكاثف الجميع تحت شعار يوحد الشعب بأسره.

الكلمات المفتاحية: ومشروع الاصلاح ، المجتمع الجزائري ، الشيخ مبارك الميلي



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتبر الشيخ مبارك الميلي نموذجا حيا لكثير من العلماء في التربية والتعليم وطريقته المميزة في التدريس والإصلاح. وكم هي كثيرة نشاطات الشيخ سواء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو في مجال نشاطه الخاص، ومحاولته لمّ شمل الشعب الجزائري في صف واحد،تجتمع فيه الكلمة والهدف ووسائل العمل، ومجابهة السياسة الإستعمارية، والإدارة الفرنسية،ومن والاها بالإصلاح والتحرر من الخرافات والشعوذة التي وجدت لها طريقا في المجتمع الجزائري انذاك،ويتكاثف الجميع تحت شعار يوحد الشعب بأسره.

وعمل الشيخ الميلي– من أجل ذلك – على مستواه،وعلى مستوى الجمعية،بل وساهم مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس في مشروع الإصلاح ،الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.كما كان للشيخ الميلي تصور خاص وطريقة مثلى في تحقيق أهدافه الإصلاحية والتكوينية بأسلوبه القوي الواضح ذو النزعة المجددة المناهضة لواقع الشعب الجزائري.

وبناء على ذلك،نحاول في هذه المداخلة الإجابة على إشكالية رئيسية عن تصوّر الشيخ مبارك الميلي لمشروع الإصلاح في المجتمع الجزائري، وماهي شروط ووسائل تحقيقه في نظره للحفاظ على الهوية الوطنية؟

## 1/نبذة عن حياة الشيخ مبارك الميلي

وُلد الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي في قرية "أورمامن" في جبال الميلية حوالي سنة 1896. مات والده وهو في الرابعة من عمره، أتم حفظ القرآن الكريم، ثم واصل مسيرته التعليمية ، اتجه إلى مدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالميلي ببلدة ميلة و مكث بها أربع سنوات وينتفع من علوم الشيخ ومعارفه، ثم انتقل إلى قسنطينة والتحق بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس، وبعدها إلى تونس ليواصل دراسته بجامع "الزيتونة" .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توفي الشيخ مبارك الميلي في التاسع من فبراير سنة 1945 ،مخلفا وراءه مجموعة كبيرة ومتميزة من الأفكار النيرة والطلاب والمكونين. ومما كتب الشيخ مظاهر الشرك و تاريخ الجزائر القديم والحديث .

## 2/تصوّر الشيخ مبارك الميلي لمشروع الإصلاح في المجتمع الجزائري

يعتبر الشيخ مبارك الميلي من الشخصيات البارزة في جمعية العلماء المسلمين، وأحد علمائها الذين تركوا بصماتهم بشكل واضح في تاريخ الجزائر كفكر وعمل. هؤولاء العلماء الذين و صفهم الدكتور أبو القاسم سعد الله على أنهم " أولئك الجزائريين المثقفين، الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ووطنيا. وهذا التحول من وجهة نظر دينية محضة إلى التدخل السياسي قد حتمته سياسة فرنسا نحو الثقافة والشخصية الجزائرية. فالفرنسيون قد أهملوا واضطهدوا هذين المظهرين." [1]

وأضاف الأستاذ سعد الله مشيدا ومنوها بشخصية الشيخ مبارك الميلي ...(إن ظهور مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري حديث لم يكن محل استغراب. والميلي، الذي كان هو نفسه تلميذ ابن باديس، قد حاول أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني. و قد ظهر الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1928 وأهداه للشعب الجزائري و الشباب المفكر والرجال العاملين) .[2]

وكبداية لمداخلتنا هذه، أحببنا الدخول في موضوعها انطلاقا من كلمات الإهداء التي دونها الشيخ مبارك في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث: (إذا كان المتقدمون يهدون لملوك أعصارهم نتائج قرائحهم، فذلك لأنهم في أزمنة لا ظل فيها لإرادة الأمة. أما اليوم ونحن في

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ،**الحركة الوطنية الجزائرية،ج 2**، 1900 – 1930، دار الغرب الاسلامي ،ط 4، بيروت، لبنان، 1992، ص 85.

[2] – المرجع نفسه، ص 401 .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عصر عمت فيه الديمقراطية كل الشعوب أو كادت. وعرفت الشعوب إن إرادة الحاكم إنما تقوى من جنبهم وجمودهم، وأن الإرادة الحقيقية التي بيدها رفع مستوى الأمم هي إرادة الشعب فقد صار الكتاب يهدون كتبهم لشعبهم أو لعظيم من عظمائه هو رمز عظمة الشعب).[3]

لقد ركز الشيخ مبارك الميلي وهو أحد أقلام المصلحين بالجزائر، وأحد العاملين على التغيير السليم، عمله على نقطتين هامتين، هما الوطنية والإصلاح، اللتين هما ركيزتين رئيسيتين في التغيير و البناء. وذلك بترسيخ مجموعة من الأفكار أهمها :

*– الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية، وثقافتها العربية والدين الإسلامي.

*– مجابهة الأساليب الإستعمارية، والوقوف في وجه المخططات الاستيطانية الفرنسية الرامية لطمس الهوية العربية الاسلامية للجزائريين، بمختلف الطرق وفي مختلف الميادين.

*– مواجهة الأفكار الطرقية المتخلفة، المسلحة بأساليب الشعوذة، و الخرافات، التي غزت البلاد والعباد في تلك الفترة .

*– الاعتماد على الآراء التجديدية، و تصحيح المفاهيم الخاطئة، التي سادت العقيدة والقيم والمبادئ، في المجتمع الجزائري بتخطيط من الادارة الاستعمارية، وأتباعها من العناصر الجزائرية، التي هدفها أن يبقى المواطن الجزائري في جهله، وخرافاته، بعيدا عن أي مقاومة أو تفكير .

*– اصلاح التعليم بمختلف أطواره، وحيثما كان، في الكتاتيب، أو الزوايا، أو المدارس، بتنقية المناهج التربوية، وتحديد الأهداف الحقيقية، وغرس الروح الوطنية، والدينية، في نفوس وعقول الطلاب والتلاميذ .

[3] –مبارك الميلي ،**تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 5.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*– انشاء المدارس، كتلك المدرسة العربية، التي أنشأها الشيخ مبارك الميلي في الأغواط، وقام بالتدريس فيها من سنة 1927 إلى سنة 1933. ومدرسة حياة الشباب بميلة، التي هدف من خلالهما إلى تعليم الجزائريين تعليما سليما يعتمد على مناهج ورؤى حديثة وعصرية.

*– رفض الهيمنة الامبريالية والاستعمار الفرنسي، عن طريق المقاومة السياسية السلمية كخطوة أساسية للمطالبة بالحقوق الشرعية العادلة. و مقاومة قوانين الاستعمار الفرنسي، وتنظيمات الاستيطان التي سنتها فرنسا، خاصة تلك التي لها علاقة مباشرة مع مبادئ الأمة ومقوماتها. كاللجنة الخيرية للغوث التي أسستها فرنسا، وهي لجنة دينية مالية تشرف على الأوقاف ومواردها .

## 3/شروط ووسائل تحقيق البرنامج الاصلاحي في نظر الشيخ مبارك الميلي للحفاظ على الهوية الوطنية:

يخضع كل برنامج مهما كانت نوعيته وأهدافه، إلى مجموعة من الشروط والوسائل التي تمكنه من تحقيق تلك الأهداف المبتغاة منه. والشيخ مبارك الميلي حدد وسائل تحقيق أهدافه الإصلاحية، عن طريق توفير مجموعة من الهياكل والمؤسسات، وكذا وجود اقتناع وإيمان بالفكرة، حتى يكتب لها النجاح، وأيضا بتوفير مجموعة من الشروط مثل:

*– ايجاد هيكل تنظيمي قوي يضم مختلف القوى الفاعلة في المجتمع، خاصة من فئة العلماء والمصلحين، الذين يجعلون من اصلاح الفرد والمجتمع هدفا أساسيا لهذا البناء. وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإطار الأمثل لتجسيد هذه الفكرة. قال الأستاذ توفيق المدني بعدما تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين: "تمكنا من تحقيق الحلم الذي كان يراود دعاة النهضة العربية الاسلامية، ألا وهو تأسيس هيئة إسلامية عربية، تنهض بالبلاد نهضة جبارة، داخل عروبتها وقوميتها وإسلامها، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" [4] .

[4] – توفيق المدني ، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 165 .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*– تأسيس المدارس التعليمية، والنوادي التربوية،التي تعمل على استقطاب الشباب الجزائري إليها، حتى لا تلتهمه الأيادي المتربصة، كتأسيسه (مبارك الميلي) للنادي المذكور بمدينة الأغواط، بالإضافة إلى جمعيات خيرية تهتم بالشباب،

*– استخلاص المناهج التربوية السليمة، التي تعمل على بناء الفرد الجزائري بناء حقيقيا، أساسه الثوابت الوطنية التي تغذي فيه الشعور الوطني والديني .

*– مواجهة الظروف مهما كانت، والعمل على ايجاد الحلول، مهما كانت تلك الظروف صعبة وقاسية. فالفرد القوي يتعايش مع كل الظروف ويواجهها، ولا يتهرب منها وبهذا تصقل شخصيته ويقوى عموده.

*– محاربة البدع والخرافات، خاصة وقد انتشرت في المجتمع الجزائري بشكل كبير وتفنن رجالها والمتمرسون فيها، في ترسيخها في أذهان المجتمع الجزائري البسيط الذي كبلته الظروف الاجتماعية السيئة، وانتشر الجهل بين مختلف فئاته .

*– محاربة أنصار الاستعمار، ومقاومة وتحطيم البدع والضلالات الدينية، التي استغلها الاستعمار تحت ستار الطرقية . [5]

*– احياء تاريخ الامة، عن طريق تدريسه لأبناء الجزائر، حتى يفتخروا بانتمائهم و يتعرفوا على حضارات بلادهم، و يتعلقوا أكثر بجذورهم، وينفصلوا عن الأطروحات الفرنسية التي تدرّس تاريخ وجغرافية الجزائر على أنها جزءا من فرنسا. ويفهموا أوضاعهم ويعرفوا حقيقة المستعمر، وما ارتكبه من وحشية، وما زرعه من دمار بين أبناء هذا الشعب المسالم، منذ أن وطئت قدما المستعمر هذه البلاد. لقد ادخل العلماء تدريس تاريخ العرب الحديث إلى الجزائر، و كانوا يعلّمون طلابهم إن جميع سكان إفريقيا الشمالية من أصل عربي ... وكانوا يمجّدون الفتوحات، ويتذكرون بشوق وحزن انجازات المسلمين في العصر الذهبي للإسلام. وكان العلماء

[5] – توفيق المدني مرجع سابق ص166



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشعرون بتأخر الجزائريين بالمقارنة إلى الانجازات الأوربية العلمية، ولكنهم كانوا يدعون إلى العودة إلى القرآن الذين يقولون أنه يحتوي على مفتاح التقدم، وأنه يحث جميع المسلمين على البحث والاكتشاف.

ويعرف الشيخ مبارك الميلي التاريخ على أنه (مرآة الماضي، ومصعد الحاضر، وشهادة حياة الأمة، وسجل أعمالها الشريف، وتذكار عبقريتها، ورباط وحدتها، وميزان تقدمها). فبذلك اعتبر الميلي التاريخ بمثابة الجنسية والوطنية، إذ قال (عندما يدرس أبناء الأمة تاريخهم، سيعرفون واقعهم، وسيعرفون أن القومية الموجودة –أي القومية الفرنسية–سوف لا تبتلع قوميتهم) فالتاريخ بالنسبة لأبناء الأمة في نظره، هو فهم مجد ماضيهم ونبالة أجدادهم.

*– ضرورة تطهير الدين من المعتقدات الخاطئة و الأفكار المتعصبة، لأنه أساس المجتمع الجزائري، الذي تشبث دائما بدينه، رغم محاولات المنصرين، لطمس معالمه الزكية. وقد لخّص ابن باديس مبادئ وأهداف الجمعية سنة 1935 في "القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين، وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا". [6]

*– التصدي للحملات التنصيرية التي يقودها المبشرون المسيحيون، مدعمين من السلطات الاستعمارية الفرنسية، ومباركين من قبل الكنيسة التي اتخذت كافة الأسباب من أجل إبعاد الجزائريين المسلمين عن دينهم. بل وتغييره باعتناق المسيحية. وانتهاز أدق الفرص من أجل تحقيق أهدافهم، مثلما فعلوا سنوات 1867 – 1869 حينما اجتاحت الجزائر موجة من المجاعة، ليتدخل هؤولاء تحت غطاء المساعدات الانسانية، وهم في حقيقة الأمر عملوا على تنصير أطفال الجزائريين. أو ما اتصفت به مختلف أعمال الكاردينال لافيجري والآباء البيض من محاولات دؤوبة للتبشير المسيحي، كفتح مراكزهم في القرى النائية والمناطق الجبلية .

[6] –أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية، ج3** ،دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 1992 ، ص 87 .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*– الاتصال المباشر بالجماهير، والنزول للشعب والاحتكاك بمختلف فئاته، ونشر الوعي فيهم، بعيدا عن الوسطاء. حتى يتحقق الفهم الصحيح ويترسخ المشروع التربوي والتوعوي لدى أفراد الشعب .

*– التصدي للمرابطين، ورجال الزوايا المؤمنين بالاعتقادات القديمة، دون مواكبة العصر. ورفضهم التجديد، ومواجهة التحديات الجارية، بأساليب تعتمد على الرؤى الجديدة، ضمن السياسات الحديثة. وبعدهم عن الشعب وقضاياه " فأصبحوا عن وعي، أو غير وعي، أداة في يد السلطة الفرنسية، لإبقاء الجماهير خامدة جامدة سهلة على الاستغلال و السيطرة الاستعمارية" [7] . لقد كان "أول خصوم العلماء هم المرابطون، ورجال الزوايا، الذين ظلوا على عقائدهم القديمة، وفي عزلة عن تقلبات العصر، وتجدد الفكر الانساني ... ولما جاء العلماء يطالبون بالإصلاح، واليقظة، ويشيرون بأن الدين ليس عبادات، وطقوس خرافية، وتوسلات للأشباح، والتعايش مع الإدارة الفرنسية. ولكنه قبل كل شيء، طريق إلى العيش الكريم، والحرية العقلية، والسياسية، ثارت ثائرة الخصوم" .[8]

*– الاعتماد على الصحافة في نشر الأفكار السليمة ،والرؤى الصحيحة، في مختلف الأوساط الاجتماعية، والثقافية. باعتبارها أداة فعالة، وقريبة من الأوساط، يمكن من خلالها، زرع المكارم، و النهي عن الموبقات، وما علق في العقول من بدع، وخرافات. فيتم تحليل الظواهر، وتفسير الأسباب، و إرشاد العقول، وإقناع القلوب. وقد اعتبرها مبارك الميلي، منارة هامة لإيصال الأفكار النيرة والتنبيه عن الأخطاء، و الممارسات الدخيلة، عن الشعب و الوطن. وفي هذا الإطار يمكننا الإشارة إلى المقال الذي نشره مبارك الميلي في جريدة المنتقد[9] و كان

[7] –ابو القسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج 2،مرجع سابق ص 97 .

[8] –المرجع نفسه ص 95 .

[9] – هي جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تم إنشاؤها سنة 1925 ,ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددا قبل أن توقفها الإدارة الفرنسية.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعنوان "العقل الجزائري في خطر". هذا المقال الذي أمعن فيه بالتحليل و الدراسة، لحالة الشعب الجزائري في العديد من جوانبها، الإجتماعية، والثقافية، والدينية، وما علق بها من شعوذات، وبدع، وضيق أفق، ونقص في البصيرة.

*– انشاء مرافق مختلفة، لاستقطاب الشباب، تكون لهم أساسا وأرضية لبنائهم، وتربيتهم، وتوجيههم. كتلك التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومبارك الميلي عضو فيها. ففي هذه النوادي الثقافية، كان العلماء يهدفون من وراء التعليم إلى تربية النشء على الشجاعة، والخطابة، والنظرة العلمية. وكانت الكتب المقررة في برامجهم تختار لفائدتها وسهولتها وحداثتها .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com